

الترجمة والمصطلح

الأستاذ: السعيد خضراوي

جامعة باتنة

تقتضي منهجية المقال البدء بضبط المفاهيم المتعلقة بالمداخلة الموسومة بـ: الترجمة والمصطلح. وكذا توضيح العلاقة بين الترجمة واللغة من جهة و المصطلح واللغة من جهة أخرى على اعتبار أن اللغة عامل أساسي في عمليتي الترجمة وصياغة المصطلح أو ترجمته. نفعل هذا لأننا نؤمن أن ضبط المفاهيم ضرورة ملحة لتحديد عناصر الموضوع ومجاله حتى تتضح الرؤى و يكون القارئ على بينة من الأمر.

بادئ ذي بدء يرى كثيرون أن الترجمة عملية فنية إبداعية (1) تعنى بنقل أفكار و ألفاظ و معان و أساليب و نصوص وحتى كتب من لغة إلى أخرى. (2) و إلى جانب هذا فإن لها معنى آخر يشير إلى سيرة شخص أو تأريخ حياته (3) كما نجد ذلك في المعجم الوسيط: و ترجمة فلان: سيرته وحياته وجمعها تراجم. وفي لسان العرب نقراً: ترجم: الترجمان والترجمان المفسر للسان و في حديث هرقل قال: لترجمانه . الترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى والجمع التراجم (4). وجاء في الصحاح في اللغة والعلوم ، يقال : قد ترجم كلامه إذا فسر به لسان آخر ، ومنه التراجم ، و الجمع التراجم ، و الترجمة النقل من لغة إلى أخرى ،

مما سبق يتضح أن كل تعاريف الترجمة تلتقي في نقطة مفادها أن الترجمة عملية استبدال لنص أو لمصطلح ما في لغة أصل أو مصدر إلى ما يقابله أو يعادله دلالة أو نفعاً في لغة هدف .

السعيد خضراوي

و إذا جئنا إلى معنى لفظة : "مصطلح" فنجد أنه يحيل إلى المعنى الذي تعارف عليه الناس في الاستعمال اللغوي . وهذا ما نقف عليه في أوساط الباحثين و الأكاديميين (5). أما لغة فإن المصطلح مشتق من الثلاثي: "صلح" و اصطلاح القوم على الأمر أي تعارفوا عليه و اتفقوا مما يعني حصول إجماع يفضي إلى تداول الاسم المبتكر وشيوعه. و بعبارة أدق فإن المصطلح عبارة عن إيجاد أسماء لمسميات جديدة أفرزتها الحاجة. أو كما يقول الجاحظ في حديثه عن صياغة المصطلح في العربية: "وهم" أي العرب "تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطالحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم . و إنما جازت هذه الألفاظ "أي المصطلحات" في صياغة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني." (6)

و الثابت أن المصطلحات مفاتيح العلوم و المعارف لذلك فإن صياغتها ينبغي أن تكون محكومة بشروط وخاضعة لقوانين حتى تكتسب صفة العلمية و يكتب لها النجاح والخلود. ومن الشروط و القوانين التي ينبغي أن تحكم صياغة المصطلح نؤكد على :

*1- الاختصاص أو المعرفة الدقيقة للميدان المعرفي المتصل بالمصطلح. لأن كل علم له خصوصيته التي تميزه عن غيره من العلوم الأخرى .

*2- الخيال و القدرة على الابتكار ما دام الأمر يتعلق بعملية إبداع اسم لمسمى جديد .

*3- المعرفة اللغوية الدقيقة حتى يأتي المصطلح وفق النظام اللغوي ، سهلا على اللسان خفيفا على السمع فيحقق له القبول والإجماع .

*4- توخي الدقة وذلك انطلاقا من فكرة رفض ظاهرة و الترادف. وكذا تجنب الالتباس والغموض

هكذا نظهر فيمه المصطلح و ضرورته كونه يكشف عن جهد معرفي و قدرة على الإبداع . و بناء على هذا فإن المصطلح الحق هو الذي يتخمس عن ولادة عسيرة يتم بموجبها ليس فقط الاحتكاك بالعلم بل وممارسته ممارسة تامة وواعية .

و بالرجوع إلى ما تم قوله لحد الآن يظهر جليا أن العلاقة بين اللغة والترجمة علاقة وطيدة، كون هذه الأخيرة تقوم على النقل من لغة إلى أخرى مما يستدعي ضرورة التوفيق بين نظامين لغويين والحرص على مراعاة خصوصية كل لغة دون المساس بالجانب الدلالي. كما تظهر كذلك العلاقة بين اللغة والمصطلح لأن كل لفظة تنطوي على معنيين الأول لغوي و الثاني اصطلاحي. وفي كلتا الحالتين، أي في حال النقل من لغة إلى لغة أخرى أو في حال صياغة المصطلح أو ترجمته، فإن حصة الأسد تعود إلى العنصر اللغوي الذي يتطلب دقة، كفاءة و ممارسة دائمة .

و لما كانت الترجمة وسيلة من وسائل الاتصال و المثاقفة التي تهدف إلى إيجاد المعادل الموضوعي للشيء المترجم، فإن الواقع العربي الراهن يفرض أكثر من أي وقت مضى الاستتجاد و الاستعانة بالترجمة، قصد نقل المعارف و الوقوف على التحولات العميقة و السريعة التي طالت كل ميادين الفكر و المعرفة. بهذا فالترجمة، باعتبارها نافذة مطلة على الآخر، يمكن، إن استغلت استغلالا عقلانيا، أن تساعد في مد جسور التواصل و كسر كل أشكال الحواجز أو الحدود و تقليص المسافة و الهوة بين المنتج و المستهلك في الميدان المعرفي و الفكري و ربح الوقت حتى يصبح بالإمكان مواكبة الركب الحضاري الزاحف بأقل الأضرار و أخفها وبأيسر السبل وأقصرها.

هذا هو شأن الترجمة و تلك هي أهميتها حتى أنه أصبح من الصعب الاستغناء عنها (7) لأنها غدت اليوم ضرورة من ضرورات الكشف عن كنه ما توصل إليه فكر الغير الذي لا وجود لنا إلا به.

و قديما أدرك العرب قيمة الترجمة فأنشأ لها دورا عملت على دراسة المفردات و التراكيب و الأساليب و طرق سياغتها و ترجمتها، ففي عهد الأيوبيين مثلا أدمنت في العربية آلاف المصطلحات العلمية و الترجمة و المصطلحات و المشتقة. لذلك عند عصره بالعصر الذهبي حيث نقلت العديد من المعارف و العلوم إلى العربية فزادتها جمالا على جمالها و غنى على غناها. (8)

السعيد خضراوي

إن تعاطي العرب للترجمة في هذه الحقبة الزمنية ينبغي أن ينظر إليه في إطاره الزمني وسياقه الحضاري. لقد كنا وقتئذ سادة كراما. كنا في وعي ذاتي تام ولحظة عز وتفوق حضاري، فكري ومعرفي. فكان الإقدام على الترجمة خيارا نهضويا واعيا. أما اليوم فإن تعاطينا للترجمة يأتي في إطار وسياق هما على نقيض الإطار والسياق الأولين. إنه تعاط نشعر فيه بعقدة التأخر وذنوب التخلف وروح الاستسلام المحتوم إلى التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية والعلمية... لذلك والحال هذه ينبغي أن تبنى استراتيجية الترجمة في الوطن العربي على هذه الأسس آخذة بعين الاعتبار السقوط الحر الذي نعيشه في مختلف مناحي الحياة. إنها الحالقة على حد تعبير الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم.

و إذا كانت الترجمة ضرورة ملحة فإن ترجمة المصطلح أشد إلحاحا لأن المصطلحات مفاتيح العلوم و المعارف كما سبق ذكره، تقتضي تقصيا ودقة و زادا معرفيا يتصل بمعارف عدة . وعلى هذا الأساس فقد حظيت ترجمة المصطلح بعناية خاصة من لدن المهتمين لأن: " أكثر ما يحتاج به إلى الاستبانة هو اشتباه المصطلح. فإن لكل علم اصطلاحا إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلا ولا فهمه دليلا"(9)

إن واقعنا العربي المعاصر و البون الشاسع بينا و بين الدول المتقدمة في شتى مناحي الحياة يفرض علينا التفتح الواعي على الآخر، تفتح لا يتكرر للموروث الحضاري و لا يكون على حساب خصوصيتنا و مقوماتنا التي تجعل منا أمة متميزة ذات ماض حضاري كان له الأثر البالغ في إشراقة نور العلم و المعرفة على الإنسانية أيام كانت الفعساره العربية سيده و أيام ثاب المسلمون فاده لألهم تدبروا قوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". (10)

إن إلقاء النظر على ما توصلت إليه الأمم الأخرى صار أمرا ضروريا حتى نتمكن من مراجعة النفس، فليس عيب أن نقتبس من غيرنا، لأن الدنيا قائمة على معادلة

الأخذ والعطاء، و لكن العيب كل العيب أن نتمادى في غفلتنا فنوصد المنافذ بحجة الأصالة و مصطلحات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان .¹¹ وفي هذا السياق تبرز جدية و حتمية ترجمة المصطلح الأجنبي اختزالا للمسافة و ربعا للوقت و استفادة من الغير و مسايرة للواقع. غير أن الواقع الحضاري والتاريخي و الثقافي و الاجتماعي للأمة العربية يفرض طرح إشكالية ترجمة المصطلح في إطارها الحقيقي. لأن قضية المصطلح قضية متعددة الأبعاد يشترك في نسج خيوطها، و بحسب التخصص، ميادين عدة منها الأدبي، و اللغوي، والاجتماعي، و النفسي والفلسفي وغيرها من الميادين الأخرى .

وعلى هذا الأساس فإن المصطلحات لا يمكنها أن تخلو من حمولات فكرية و أبعاد دلالية عدة . ومن ثمة فإن عملية تحريرها من هذه الأبعاد و تعويضها بأخرى ترتبط بالواقع العربي خاصة منه الثقافي والحضاري واللغوي تعد أمرا ضروريا. إن ترجمة المصطلح بطريقة لا يراعى فيها الضمير الجمعي للمجتمع كأن يتنافى مع قيمه، معتقداته، أخلاقه، تطرح في الوقت الراهن بإلحاح شديد. من هنا تظهر ضرورة مراعاة ترجمة المصطلح للضوابط الاجتماعية و الثقافية والحضارية واللغوية للمجتمع الهدف. ولعل أحسن مثال يؤكد هذه الضرورة مصطلح (Nike) الذي نجده مكتوبا على الملابس و الأحذية الرياضية . فقراءته قراءة فرنسية لمن لا يعرف الإنجليزية و ترجمته حرفيا بـ: "نيك" نطق فرنسي و " نايك " نطق انجليزي - وهذا على الطريقة الجزائرية في ترجمة المصطلحات مثل: سوناطراك ،ديستريش ، سونلغاز... (11) - طريقة تخدش الحياء و تتنافى مع أخلاقياتنا كمجتمع لازالت، و الحمد لله، قوانين الحياء تحكمه .

والأمر الآخر الذي ينبغي مراعاته، حفاظا على جمال و قدسية اللغة العربية، هو ضرورة تجنب الارتجال وبخاصة في ترجمة المصطلح. إن اللغة العربية الغنية بمفرداتها، صيغها، خصائصها، تراكييبها... قادرة، دون الذوبان في لغات أخرى، عن طريق النحت، المجاز، الاشتقاق، التحويل: التعريب و التوليد على احتواء كل المصطلحات

السعيد خضراوي

الأجنبية من غير أي إشكال يذكر. نقول هذا ليس من باب التعصب ولا الحماسة ولا العاطفة، ولكن لأنها الحقيقة التي فرضها الواقع العملي أيام استطاعت اللغة العربية ترجمة أمهات الكتب الأجنبية في حين عجزت اللغات الأخرى عن ذلك هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنها الشهادة التي أدلى بها خصومها من أمثال أر نست رينان ERNEST RENAN الذي صرح معترفا بعبقرية اللغة العربية فقال إن: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتبلغ درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تقنى ولا نعرف شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة، من غير تدرج، وبقيت حافظة لكليتها من كل شائبة." (12)

ولعل من الأمثلة التي تصلح لظاهرة الارتجال وعدم الدقة في ترجمة المصطلحات ترجمة مصطلح "ORDINATEUR" ب: "حاسوب". وبخصوص هذه الترجمة فقد رأى الدكتور عمار ساسي أن مصطلح "حاسوب": "هو مصطلح مرتجل وموضوع على غير فقه باللسان العربي هذا من حيث الدلالة أولا. أما من حيث الصيغة" فاعول" فإن دلالتها لا تخرج عن التكرير والتكرير وهي لا تناسب صيغة الجهاز والآلة هذه. لهذا يستحسن في الفصح بدل مصطلح حساب، إحصاء تبعا لوظيفة الجهاز ودقة دلالة المصطلح... وعليه لماذا لا يسمى هذا الجهاز بدل "حاسوب" ب"محصة" حيث فعلها أحصى ويمثل الوظيفة، ووزنها مفعلة - الصيغة العربية الفصيحة -، فيكون معناه الجهاز الذي يحصي كل ما ركب فيه ولا يغادر منه شيئا." (13)

من جهتنا فإننا نتفق مع الدكتور في وصف ترجمة "Ordinateur" ب: "حاسوب" بالارتجالية، لكننا نعتبر أن مصطلح "حاسوب" هو ترجمة للمصطلح الإنجليزي "Computer" الذي يعني "عد" وليس للمصطلح الفرنسي "Ordinateur" الذي يدل في معناه اللغوي على الذي ينظم أو المنظم وكذا الذي يأمر أو الأمر. وعلى

هذا الأساس فإن اقتراح الدكتور لمصطلح "محصة" بدل "حاسوب" يعد اجتهادا و لكنه صالح لمصطلح "Computer" إلا أنه قد يتسبب في نوع من الالتباس بين "محصة" الذي يعني الآلة و "محصة" الذي يعني الأرض الكثيرة الحصى كما جاء ذلك في لسان العرب. (14) إننا نركز على ضرورة تجنب الالتباس في صياغة المصطلحات التي ينبغي أن تتصف بالدقة. وهذا ما نلمسه عند الدكتور عمار ساسي في تبريره لرفض مصطلح "حاسوب" لأن الالتباس قد يقع بين حسب بكسر السين وحسب بفتحها. (15) على أننا نقترح من جهتنا مصطلح "معداد" الذي يعني الآلة التي تعلم العد وهو ما يترجم كلمة: Computer. ورغم ما قيل وما قد يقال بشأن هذا الموضوع فإن مصطلح "حاسوب" قد فرض نفسه على الساحة، لذلك فلا مانع من استخدامه مادام استعماله قد استفحل وما دام كذلك لا يتعارض مع القياس العربي.

و بالنظر إلى طبيعة صياغة المصطلح في اللغة الأصل والميكانيزمات والشروط التي تحكمه و يخضع لها فإنه من الصعب في بعض الأحيان، إيجاد معادل له في اللغة الهدف. لذا فإنه لا مناص من الاجتهاد و إجراء تعديلات في الصياغة الشكلية دون الدلالية حتى يتم تكييف المصطلح مع سياقه الجديد. و لتوضيح هذه الفكرة نورد الأمثلة التالية :

إن مصطلح "السريالية" هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (Surréalisme) المكون من مقطعين: السابقة (Sur) و تعني "فوق" و (Réalisme) و يعني "الواقعية" و لو تمسك العربي بهذا لكانت الترجمة " ما فوق الواقع أو الواقعية" التي تشير في اللغة الأصل إلى امتزاج الخيال بالواقع . ولما تعذر على المترجم العربي الأخذ بالترجمة السالفة الذكر لأنها لا تحقق إجماعا كما أنها مكونة من ثلاث كلمات برزما المصطلح عبارة عن كلمة واحدة تبتدع عن طريق النحت أو الاشتقاق أو التعريب أو التحويل فقد اضطر المترجم إلى تحويل و تعديل المصطلح الأصل وفق ما تقتضيه طبيعة اللغة العربية، فحافظ على السابقة " SUR" و ترجمها بـ "سر" كما حافظ على

صيغة النسبة {ISME} و جاء بما يعادلها في العربية فجاء مصطلح "سريالية" العربي في مقابل "Surréalisme" الفرنسي.

وكذلك الشأن بالنسبة لمصطلح "الدادية" ترجمة للمصطلح الفرنسي {DADAISME} (16) المكون من الاسم {DADA} و صيغة النسبة "ISME" فالملاحظ في المصطلح العربي أن المترجم احتفظ بالكلمة الأساس "DADA" وترجمها إلى "داد" مضيفا إليها صيغة أو ياء النسبة فجاءت "الدادية" على الرغم من أن الكلمة لا أصل لها في العربية، إلا أن الإجماع جرى عليها لأنها لا تخالف قواعد اللغة العربية كما أنها ليست حوشية صعبة على اللسان ثقيلة على الأذن. ونفس الكلام يقال عن مصطلح "البرناسية" المقابل للمصطلح الفرنسي {Parnasse} المذهب الأدبي المتفرع عن "مذهب الفن للفن".

و كما هو واضح من المثالين السالفي الذكر فإن ترجمة المصطلح تقتضي فهم لغته الأصلية و القواعد التي تحكمها، وكذا معرفة طريقة صياغته، مجال استعماله، دلالاته الأصلية وسياقه. ذلك لأن ولادة المصطلح هي نتيجة لعمليات معقدة على الصعيد الدلالي و اللغوي والعلمي والمعرفي و الثقافي. و مصطلح "الدادية" خير دليل على ما نقول. إن مثل هذا الوضع يتطلب من المترجم زادا معرفيا يلم بكل جوانب عملية صياغة المصطلح وترجمته سواء تعلق الأمر بلغة وسياق الأصل أو لغة وسياق الهدف. أما الإبحار في محيط ترجمة المصطلح دون حصانة فكرية، حضارية و ثقافية ... أي دون عدة ملائمة ففيها من المخاطر والاشكالات ما قد يتسبب في فهم المصطلح فهما خاطئا و بالتالي توظيفه في غير المعنى الذي وضع له في الأصل.

و صحيح كذلك أن الترجمة بصفة عامة و ترجمه المصطلح بصفة خاصة آليه معرفية تسهم بشكل واضح في إثراء اللغة الهدف، كما أنها دليل على طاقتها الإنتاجية وقدرتها الإبداعية و الاستيعابية (الأمثلة السابقة تمثل هذا)، لكن الأصح كذلك ألا تكون هذه العملية مصدر شتات و خلاف كان تتعدد الترجمات للمصطلح الواحد و يصبح كل

مبدع يغني مصطلحه ويتباهى به . و مما يصلح مثالا لهذا مصطلح " La poétique " الذي يرمز إلى ما يمكن أن يصبح به الخطاب أثرا فنيا تتجسد فيه عناصر الأدبية والجمالية. ففي العربية نجد في مقابل هذا المصطلح ثلاثة مصطلحات :

- 1-الإنشائية : وهو المصطلح الذي تبناه الدكتور عبد السلام المسدي
 - 2-الإبداع : وهو المصطلح الذي تبناه الدكتور محمد خير البقاعي
 - 3-الشاعرية: وهو المصطلح الذي تبناه آخرون ر ابطين بذلك بين الشاعرية كمصطلح و الشعر { La poésie } .
- و كذلك حال.

Locuteur. Emetteur. Encodeur. Destinateur. باعث ،
مخاطب، متكلم ، متحدث، مؤتى ، (التركيز على المصطلح الأخير) Auditeur.
Récepteur. Décodeur. Destinataire مرسل إليه ، متلقي،
مخاطب، سامع، مستهلك.... مواتي (التركيز على المصطلح الأخير)

إن تعدد المصطلحات المتباينة للمصطلح الواحد قد يخلق نوعا من الارتباك والخلط خاصة لدى القارئ البسيط حيث يصبح في حيرة من أمره لما يسأل نفسه أي مصطلح أحق بأن يتبع ؟ و إذا كان مصطلح (La poétique) و ما أفرزه من مصطلحات في العربية لا يطرح كبير إشكال، لأن الإنشائية أو الشعرية أو الإبداع مصطلحات تشير كلها إلى ضرورة انتهاز طريقة متفردة و متميزة في الصناعة الأدبية حتى تتحقق الوظيفة الجمالية للخطاب الأدبي أي أد بيته، فإن مصطلحي Récepteur و Emetteur و مترادفاتهما يطرحان إشكالا خاصة عندما نجد من يبرر ترجمة Destinateur بـ : المؤتى و Destinataire بـ : المواتي وذلك قصد التمييز بين Emetteur-Destinateur في الحالة الأولى و Récepteur -Destinataire في الحالة الثانية بينما هما في اللغة الفرنسية من المترادفات التامة . (17)

السعيد خضراوي

ولهذه الظاهرة أمثلة كثيرة نكتفي بإضافة ما يلي: ROMANTISME أو ROMANTICISME (19) الذي ترجم إلى: الرومنتيكية - الرومنطيقية - الرومانسية - و الرومنسية. وكذا مصطلح: "Pragmatique" الذي ترجم ب: الذرائعية والتداولية و النفعية وكذا البراجمئية. و آخر مثال هو مصطلح Sémiologie الذي يقابله في العربية: علم العلامات، السيميولوجيا، و السيمياء أو السيميائية وكذا علم السيمياء. وفي هذه الحالة أليس بالإمكان تجنب هذا التعدد المصطلحي والاكتفاء بمصطلح السيمياء أو السيميائية لأنه:

1- ذو أصل عربي ذلك أن السيمياء هي الأثر أو العلامة كما جاء ذلك في قوله تعالى: "سيماء هم في وجوههم من أثر السجود" (20) وكما فسرت؛ قال مالك: السيماء هي ما يتعلق بجباههم (الضمير "هم" يعود على المصلين) من الأرض عند السجود... وقال عكرمة: الأثر كالغدة في جبهة الرجل. وفي مادة "سوم" نقراً: الخيل المسومة هي التي عليها السيماء والسومة وهي العلامة. وقال ابن الأعرابي السيم العلامات على صوف الغنم. وقال تعالى: من الملائكة مسومين، قرء بفتح الواو، أراد معلمين. (21)

2- أكثر دقة،

3- أقرب نطقاً وإيقاعاً من المصطلح الأجنبي Sémiologie

وإزاء هذا التعدد يحق للقارئ أن يتساءل ههنا قائلاً أليس بالإمكان الاتفاق على مصطلح واحد؟ أم أن وحدة المصطلح، كما عبر عنها الدكتور عمار ساسي، ووهم مزعوم وإشكال مثار عن غياب فقه دقيق باللسان العربي؟ (22)

وفيما يخصنا فإننا نعتبر وحدة المصطلح من القضايا الشائكة إن لم نقل الخطيرة. لذلك فهي تتطلب جهوداً مضمّنية يتم بموجبها ليس فقط التحكم في اليات صياغة المصطلح وشروط ترجمته، بل وكذلك، وهو الأهم عندنا، التخلص من الذهنيات القطرية والفردية لأن الأمر يتعلق بلغة كل العرب والمسلمين.

إن الأمثلة التي سقناها تكشف، من دون شك، عن الفوضى التي نعيشها في ميدان ترجمة المصطلح. والتي لا يمكن أن تفسر إلا بالقصور الذاتي أو النزعة القومية الضيقة الممقوتة المعادية للوحدة-وهي نوع من التعالي والنجسية الهدامين- أو إلى الجهل والاستهانة بخطورة وأهمية الترجمة في مرحلة نحن في أمس الحاجة إلى انتهاج أيسر السبل، أقصرها لتقليص الهوة المعرفية بيننا وبين الغرب. وبالتالي الالتحاق بالركب الحضاري الزاحف.

و عليه تتأكد ضرورة الفهم الصحيح لطبيعة اللغة الأصل و اللغة الهدف . لأن الترجمة كما هو معلوم بالضرورة عملية تمس نظامين لغويين كما تمس سياقين ثقافيين و اجتماعيين وجب فهمهما فهما جيدا حتى يتم تجنب كل المزالق و الانحرافات .

ثم إن مكن خطورة و صعوبة عملية ترجمة المصطلح تتمثل في محاولة إيجاد اسم لشيء لم ينتج الفكر الهدف، أي أنها محاولة إيجاد مصطلح لمصطلح و بعبارة أدق فهي مصطلح داخل مصطلح. وهنا بيت القصيد ومكن الوعورة لأن التوفيق بين واقعين أو سياقين ثقافيين واجتماعيين أمر ليس بالسهل ولا في متناول كل الناس هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ترجمة المصطلح، و خلافا لما يعتقد البعض، تختلف عن ترجمة الكلمات العادية كون معاني هذه الأخيرة تتحدد بالسياق الذي ترد فيه.

وبناء على هذا يصبح بالإمكان التفريق بين الوظيفة الأدبية للألفاظ اللغوية ذات الأبعاد الدلالية والإيحائية المتعددة، والوظيفة الاصطلاحية للمصطلح التي تقتضي انتماء هذا الأخير إلى حقل مفهومي قابل للضبط وللتحديد الدقيقين والتعبير عن ماهية قابلة للتجريد الذهلي وقابلية التعريف المطلق. (18)

فعلى سبيل المثال فإن كلمة {Objet} يمكن أن تترجم بحسب السياق إلى:

* تحفة فنية : Objet d'art

* شيء قيم : Objet de valeur

* موضوع دعوى : Objet d'un procès

* كماليات: Objet de luxe

* القصد أو الهدف من الزيارة : L'objet de la visite

* أدوات مصنوعة: Objets fabriqués

و هلم جر...

أما المصطلح فإن معناه، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، يرتبط بالسياق الأصلي الذي أفرزه و بالتالي فإن توظيفه خارج هذا السياق خطأ فادح. لذلك وجب في ترجمة المصطلح النظر إلى السياق الذي ورد فيه ، كونه يتضمن معلومات إضافية تسمح بالوقوف على الدلالة الحقيقية للمصطلح. فللسياق إذن أهمية قصوى في تحديد الدلالة سواء تعلق الأمر بالكلمات العادية أو بالمصطلحات .

و بناء على هذا فإن الترجمة تهتم أولاً و قبل كل شيء بنقل المعنى مرتبطاً بسياق معين ولا دخل لها في الشكل. وهذا يعني أن المترجم مطالب بمراعاة معاني الألفاظ التي تتطلب الوفاء لها قدر المستطاع أما أشكال الألفاظ فالتغيير سيطالها لا محالة لأنها تنتمي إلى نظام لغوي آخر بكل ما يحمل من خصوصيات ومواصفات.

وهناك خطر آخر يحدق بترجمة المصطلح وذلك في حال خضوعه للأهواء والنزوات الفردية وحتى الجماعية. من ذلك مثلاً مصطلح "STRUCTURALISME" كمذهب نقدي وفكري، حيث ترجم ب: "البنائية" واعتبر في بعض الأوساط مرادفاً للكفر وذلك لما تم الربط بينه وبين الفكر الشيوعي. وفي هذا شطط و تحامل كبيرين يرفضهما الإنصاف والروح العلمية المسؤولة.

وإذا جئنا إلى مسألة اللغة والسياق فتجدر الإشارة إلى وجوب النظر إلى ترجمة المصطلح في علاقته بمسألة الهوية. ذلك أن خلف ترجمة المصطلح من لغة إلى أخرى ونقله من سياق ثقافي واجتماعي إلى آخر، وبعيدا عن الجانب المعرفي ، هناك جانب آخر قد لا ينكشف سره إلا لمن أوتي حظاً من المعرفة المتصلة بمختلف آليات صياغة المصطلح. وبالإضافة إلى هذا فإن انتقال المصطلح من نظام لغوي إلى آخر

ومن ثقافة إلى أخرى يعني نزوله أرضا وسياقا جديدين، وقد يصاحب هذا الانتقال تغيير في الدلالة لأن من الأمور المسلم بها أن العلاقة بين الدال والمدلول يحددها السياق.

واعتبارا لما سبق فإننا نقول بحتمية وضع أسس و قواعد منطقية تضبط ترجمة المصطلح آخذين بعين الاعتبار المجالات اللغوية والثقافية والحضارية. و إلى هذه الفكرة وخاصة ما يتعلق بالجانب اللغوي و نظرة العربية إلى قضية المصطلح يقول محمد رشاد الحمزاوي : "إن جميع المعطيات تفيد و تقرر أن العالم العربي المعاصر واع كل الوعي بهذه القضية لأسباب استوجبتها تقاليده الثقافية والحضارية، و فرضتها أحكام المعاصرة والحداثة. فالنهضة العربية الحديثة، على ما فيها من سلبيات وإيجابيات، تعتبر مغامرة لغوية لأن العرب المحدثين قد نظروا إلى الحضارة العصرية و إلى التقدم من خلال اللغة. فالنصوص المتوفرة من بداية النهضة حتى يومنا هذا تشهد عموما بأنهم تصوروا الحضارة لغوية معجمية، تدرك من خلال معجم سحري جامع شامل يشفي غليل السائلين ويحصنهم من الحيرة و يخرجهم من التخلف إلى النور. فيبدو أن الحضارة الحديثة تدرك عندهم بمعجزة لغوية مثلما نشأت حضارتهم العربية الإسلامية بمعجزة القرآن و إعجازه. و بالتالي فإن الوعي الحضاري يستوجب عندهم وعيا لغويا وما إليه من وسائل و منهجيات أساسها اللغة، مما يوحي أن التطور الحضاري ينعكس في التطور اللغوي الاصطلاحي، فهو على قدر ما يتوفر من مصطلحات وما تشمله من مفاهيم و ميادين"(23)

لقد آثرنا نقل هذا النص على الرغم من طوله لبنين أنه لا مناص من اللجوء إلى الترجمة التي فرضت نفسها إذا ما أردنا تقليص الهوة بيننا وبين الغرب الذي مسك بزمام التقدم ووقف على أسبابه. وقد أدرك العالم العربي السعاسر هذه الحقيقة . لكن الأمر الذي ينبغي وعيه هو أن اللغة بالرغم من أهميتها في عملية الترجمة ليست عصا سحرية تمكننا من اكتساب المعارف والعلوم بمجرد نقل المصطلح من لغة إلى أخرى. أكيد أن الأمر الذي لا جدال فيه هو أن العامل اللغوي عامل مهم في عملية الترجمة

المصطلح الخطأ

سواء تعلق الأمر بصياغة المصطلح أو بترجمته. لكن الأهمية هذه لا ينبغي أن تتسببنا أن المصطلح الهدف، حتى وإن تمثلت فيه كل شروط وتقنيات الترجمة، لا يمكن أن يجدي شيئاً ما لم يمارس. فلا يكفي إذن إنشاء معاجم للمصطلحات المترجمة إذا لم تكن هناك ممارسة فعلية للمعارف والعلوم التي نقلتها تلك المصطلحات. لأن التطور واكتساب العلم مرهونان بالممارسة والعمل الدؤوب. ولعل الآية الكريمة: "و قل اعملوا فيسرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون". (24) تعبر تعبيراً صادقاً عن هذه الحقيقة الكونية.

إن ترجمة المصطلح من القضايا الهامة و الخطيرة التي لا ينبغي لنا أن نمر عليها من الكرام لأن المصطلح كما يعبر عنه: مفتاح العلوم، لذلك ينبغي ألا نقف في ترجمته عند الظاهر من المعنى، بل إن التعمق والتدبر و الإلهام بسياقه الثقافي والاجتماعي و اللغوي... أمور لا بد منها لأن بها يتم الوقوف على حقيقة المصطلح الدلالية.

لهذه الأسباب، ولأخرى تتعلق بالجانب العلمي المتصل بالمصطلح نرى أن ترجمة المصطلح ترجمة واعية ومسؤولة وفق خصوصيات ثقافتنا، حضارتنا، لغتنا ومجتمعنا العربي المسلم هي أولاً وقبل كل شيء وعي بالذات وحماية لها كما هي حماية للهوية واللغة والانتماء الحضاري وبعبارة أشمل وأدق هي وعي بوجودنا وحماية له. وعليه فإما أن نكون أو لا نكون. وعلى هذا الأساس ينبغي أن تخضع ترجمة المصطلح للشروط التالية:

- *1- ثنائية إن لم نقل تعددية اللغة و الإحاطة بها خاصة لغة الأصل ولغة الهدف،
- *2- الثقافة الراسية و خاصة ثقافة الأصل وثقافة الهدف،
- *3- مراعاة ظروف صياغة المصطلح الأصل و عدم سلخه عن سياقه،
- *4- ضرورة الأخذ بسنة التطور فالمصطلح كالكائن الحي يولد و ينمو ويتطور و قد يموت. وفي هذه السلسلة قد تتغير دلالاته،

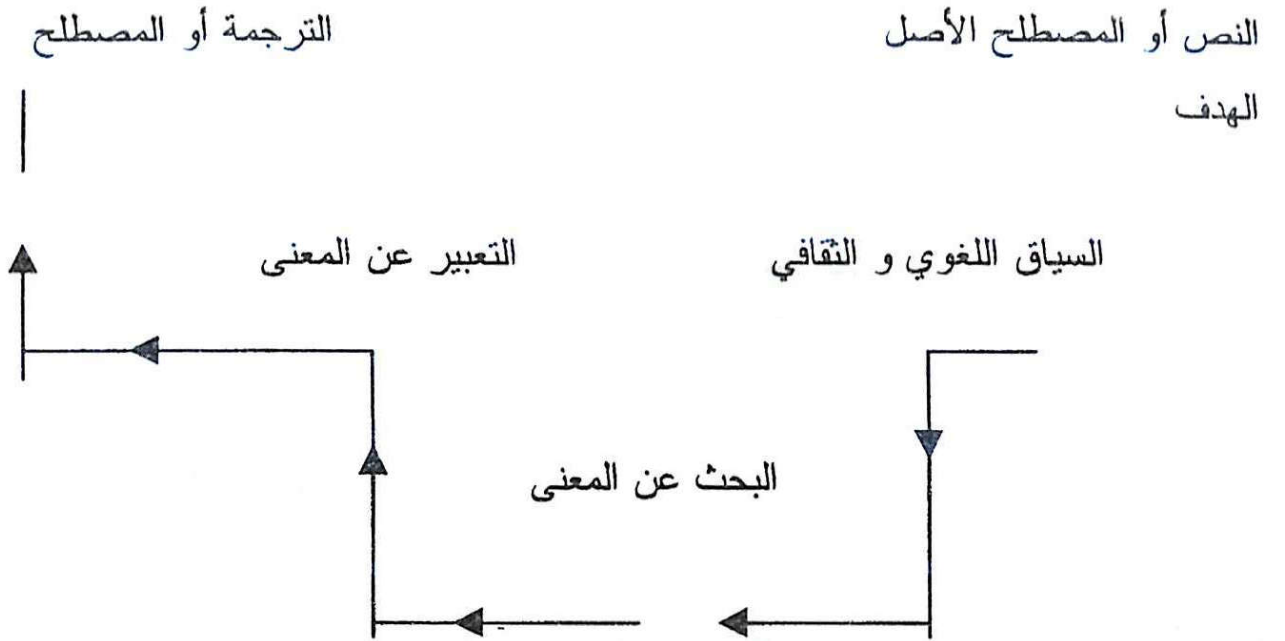
الترجمة و المصطلح

*5- ضرورة توخي الدقة و تجنب اللبس و الغموض في ترجمة المصطلح،

*6- ضرورة تجنب الارتجال.

وبناء على ما تقدم فإننا نرى أن مراحل الترجمة، سواء تعلق الأمر بالنصوص أو بالمصطلحات، تكون كالتالي:

مراحل عملية الترجمة :



و صفوة القول نرى أنه على الرغم من ما للترجمة من مزايا باعتبارها أداة تنمية ثقافية و اجتماعية و اقتصادية و لغوية و فكرية...تعمل على مد جسور الترابط و التواصل و التكامل بين الأفراد و الجماعات إلا أن الإسراف في اللجوء إليها قد يلبط الهم و يسمي عريزه الاتكال فللأسف عندئذ لندره الإبداع و هيلنك لزول الترجمة إلى مأساة . و عليه فإن المبدأ الأحق بأن يتبع في مسأله الترجمة تمثله معادله، "لا إفراط ولا تفريط".

مقترحات

- *1- ضرورة تدريس تقنيات و شروط ترجمة المصطلحات و جعلها مقياسا في أقسام الترجمة،
- *2- تنظيم ندوات و ملتقيات دراسية و تحسيسية حول أهمية المصطلح صياغة و ترجمة،
- *- العمل على توحيد المصطلحات،
- *4- إنشاء هيئة عربية لتركية و مراقبة المصطلحات المترجمة داخل الأقطار العربية،
- *5- ضرورة الالتزام بأصول و قواعد اللغة العربية في صياغة و ترجمة المصطلحات،
- *6- محاربة التراكمات الأجنبية التي لها ما يقابلها في التركيب العربي،
- *7- رفض المصطلحات الدارجة،
- *8- ضبط قائمة بالمصطلحات الخاطئة خاصة تلك التي تمس بقدسية اللغة العربية و تعميم توزيعها على الأقطار و الجامعات و الهيئات العربية لتجنبها،
- *9- تبادل الخبرات في ميدان ترجمة المصطلحات .

الهوامش

- 1- على عكس هذا التيار يفضل الدكتور حنفي بن عيسى كلمة "إنتاج" على سائر المفردات الأخرى التي تتردد على السنة بعض المؤلفين، مثل " الوحي و الإلهام، والخلق، و الإبداع" لأنها بحسب رأيه تخفي وراءها مغالطات فادحة تعرقل عمل الفكر . انظر مجلة الثقافة : مقال للدكتور حنفي بن عيسى: من أجل خطة عربية في الترجمة ، عدد 55. يناير - فبراير 1980 ص 77.
- 2- عبد الباقي الصافي : الترجمة بين النظرية و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت 1982. ص 42
- 3- د/ممدوح خسارة : التعريب و التنمية اللغوية ، الأهالي للنشر و التوزيع، دمشق 1994 ص. 103

الترجمة والمصطلح

- 4- ابن منظور: لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت. ج 14 ص 332.
- 5- عودة خليل عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عمان 1985. ص 19
- 6- الجاحظ: البيان والتبيين، ت. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت. ج 1/ص 139/140
- 7- ما يؤكد هذا هو حضورها المكثف وضرورتها في الملتقيات والندوات والهيئات في مختلف التخصصات.
- 8- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية قديما وحديثا. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق 1988 ص 52/53
- 9- الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني. منشورات مجمع اللغة العربية الأردني. ماي 1994. ص 145
(مقال الدكتور أحمد مطلوب)
- 10- سورة الرعد، الآية: 11
- 11- الإدارتان الجزائرية و الفرنسية مولعتان بهذه الظاهرة. و إذا كان الأمر عاديا في المجتمع الفرنسي لأن الفرنسية هي اللغة الأصل ولا ضرة لها، فإن لمثل هذه "البدعة" في المجتمع الجزائري أثر سلبي على الفكر و على اللغة. و أرى أن هذه الظاهرة تحتاج إلى دراسة علمية .
- 12- فراق علي: نحو مصطلح عربي طبي جديد، مقال في مجلة اللغة العربية الصادرة عن المجمع الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد الرابع، 2001، ص 305.
- 13- المصدر السابق: مقال للدكتور عمار ساسي، اللسان العربي الآية التي تتحدى الزمن، وقفة علمية على الخصائص المميزة. ص 284.
- 14- ابن منظور: لسان العرب. مادة حصي.
- 15- فراق علي: المصدر و المقال السابقين ص 283

السعيد حمزاوي

16- كانت صياغة مصطلح "Dadaïsme" في اللغة الفرنسية بطريقة عفوية إن لم نقل عشوائية. ذلك أن أنصار الثورة على كل قيم المجتمع لما أرادوا إيجاد اسم للتعبير عن فكرهم المتمرد اتفقوا على فتح المعجم و الأخذ بأول كلمة تقع عليها أنظارهم . فجاء اسم "DaDa" الذي يعني "حصان".

17- انظر : العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، صيف 1988، عدد 3، هامش ص 102.

18- إبراهيم بن مراد: المعاجم العربية العلمية المختصة ودور الحاسوب، مجلة اللغة العربية، ص 91 .

19- المصطلح الفرنسي الشائع هو "Romantisme" أما "Romanticisme" فإن أول من ابتدعه هو الكاتب الفرنسي ستندال Stendhal .

20-الفتح ، الآية:29

21-الطاهر بن عاشور:تفسير والتحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر تونس -الدار الوطنية للكتاب الجزائر ج-26 ص205-206

22- د/عمار ساسي: مجلة اللغة العربية، المقال السابق ص291.

23- محمد رشاد الحمزاوي : في سبيل نظرية مصطلحية عربية ممكنة، مداخلة أقيمت في ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات التي عقدت بمكتبة الملك عبد العزيز بالرياض ص2

24-سورة : التوبة ، الآية :105.